الزواج

بقلم حضرة الكاتب اللبيب حبيب افندي صوابيني

تابع ما قبل

حالات العائلات الشرقية — سبب تأخر الشرقي وتقدم الغربي — الوسيلة لاصلاح الحال — الحقوق والواجبات العائلية

كانت المقالة الماضية في الجزء السابق عن الزواج مقدمة تمهيدية او اساساً نبني عليه هذه المقالة ونصل بها الى الحالات والعادات العصرية ونقابلها بحالات وعادات الامم الغابرة ونصل سلسلة حديثنا بحالات العائلات الشرقية في العصر الحديث ونقابلها بعادات واحوال الامم الغربية ونقول كلمة في سبب تأخر الشرقي وضعف المرأة الشرقية وقوة الغربية وتقدم الغربي في العلوم والمعارف والحقوق والواجبات العائلية

قم ايها الذكي اللبيب واطلق العقل من اسر الاهمال ومره ان يخرق اسوار القصور والبيوت الشرقية ويراقب ما هنالك من الاحوال والامور ويرى ما وراء تلك الاسوار المزخرفة المموهة بالباطل من الشقاء والبلاء المبرم واسأله عما يشاهد في قصر هذا الامير وذاك الوجيه ودع السؤال عن صغار القوم وفقرائهم لانهم دائماً يقتدون بكبارهم واغنيائهم ولنلتقي بعد حين ... « الملوك في عروشها اذا كانت حالتها العائلية غير منتظمة فلا راحة لها ولا عظمة »

لم صراخك وعويلك وعلام بكاؤك ونحيبك الملك فقدت قريباً ونسيباً او حبيباً وخليلا لقد تركتك من مدة ليست بمديدة ليس للحزن من اثر فيك ولا للشوق من لوعة تضنيك فماذا حل بك ؟

نستغفر الله ايها الحبيب لقد قتلناك بتجاهلنا وتغافلنا عما انت فيه كيف لا يصيبك ما اصابك وقد اطلعت على ما حجب عن الابصار وسترعن الانظار . تركناك من برهة وجيزة على امل ان تطلق العقل الى زوايا القصور للكشف على ما خفي فيها فما رأى وسمع ؟

اشاهد الوالد الشرقي يصف امرأته باقبح الصفات امام بنيها وبناتها وسمع الوالدة تقابله بالمثل ان لم يكن سراً فجهاراً ونظر خصام الاخوة والاخوات وسمع اصناف الشتائم والسباب واطلع على امتهان البنين لامهاتهم وقلة رأفتهم بمن شاخ من آبائهم وتوصل الى رؤية الشقاق بين الحماة والكنة وما تولى عليهما من الظنة وبلغه مقدار كره الشرقيين للمرأة التي تلد ابنة ومبلغ حبهم للتي تضع غلاماً لان البنات يصبحن حملا ثقيلا على عاتق اهلهن وسمع عن انشقاق العائلة الى اعداء واحباب وجماعات واحزاب واطلع على ان الابوين يشتمان ابنتهما ويتكلمان عنها بما هي بعيدة عنه ويسمحان للغرباء ان يصفوها باقبح الصفات ورأت ما في ذلك من انحطاط العقل وقلة الادب واكدت ان لا لوم عليها اذا قابلتهما بالمثل فمن السبب في جميع ما تقدم ومن الدافع له يا ترى ؟

أنلوم الوالدة على ما صدر منها وهي لم تنشأ على حب الفضيلة لانها من امة فيها من يقول بعدم تعليمها وقد عاش ابواها وماتا ولم يلتفتا الى تعليمها ما يجب ان تتخذه مع بعلها واهله واولادها . وبعلها واهله لم يقابلوها الا مقابلة

الاستبداد والاستعباد . ام نلوم الولد ولا لوم عليه اذا اقتدى بوالديه لانهما لم يعوداه الا الشكاسة في الاخلاق والقباحة في العادات . أنشدد النكير على الابنة لانها اتخذت القال والقيل والانتقاد والاستهزاء ديدناً لها مع ان ابويها لم يبرح من فمهما اغتياب زيد وعمرو على ما صدر منهما من حلو ومرّ . أنستقبح ما فعلته الكنة ونلومها عليه مع ان الحمي والحماة قد سبقاها اليه . فمن نلوم اذاً ؟ واذا كانت هذه حالتنا العائلية الداخلية فكيف يسمح لنا القال والقيل ان نلتفت الى احوالنا الخارجية ونسابق بقية الامم التي تتضافر وتتعاضد على التقدم والفلاح وكيف نتقدم وتعلو همتنا ؟

لا خلاف في ان لكل سبب مسبباً ولكل فعل فاعلا ولكل داء دواء فمن المسبب لما تقدم وما الدواء لهذا الداء

قدمنا في المقالة السابقة ان النواميس والشرائع منذ الازل خولت الرجل حق السيطرة على العائلة وقد فرضت عليه تدبيرها ودفع الشر عنها والنظر الى جميع احوالها واورها ولذلك يكون الرجل هو ذاته السبب في جميع ما تقدم لان الرئيس مسئول عن اعمال مرؤوسيه والسبب في دفع المرأة الى ما تأتيه من الامور المخالفة للفضيلة لانه هو علمها ذلك وان لم يكن هو فانه لم يزل منها ما يستقبح منذ تسلطه عليها . السبب في خصام الاخوة والاخوات لانه لم يكن حاكما عدلاً بينهم ولم يكن هو وامرأته انموذجاً لهم في الفضيلة والادب ولم يحسنا تربيتهم في صغرهم ليستريحوا في كبرهم . السبب في امتهان البنين لامهاتهم لانه لم يحترم والدتهم امامهم ليحترموها هم ايضاً . السبب في قله رأفة البنين بمن شاخ من آبائهم لانه هو لم يبر بابائه ولا بد ان يعاملة ابناؤه بالمثل وللخالق في ذلك حكمة لا تعادلها حكمة . السبب في الشقاق

بين الحماة والكنة لانه لم يضع للشر بينهما حاجزاً من الحكمة والتدبير ولانه كان يصغي لوشايتهما وكانت الوشاية تدفعه تارة لليمين وتارة للشمال . السبب في انشقاق العائلة الى اعداء واحباب لانه لم يجعل لها وهو رئيسها دستوراً من الادب والفضيلة تسير بموجبه ويعلم كل من افرادها حقوقه وواجباته . السبب في انحطاط منزلة المرأة وجعلها حملاً ثقيلا على عاتقه لانه لم يمهد لها سبل العلم لتصير قادرة على معرفة الخير والشر فلا تنطلي عليها حيل ذوي الغايات الدنيئة وتدفع عنها ما يمس كرامتها

« الدواء لهذا الداء » العلم . العلم . ضعف العلم نذير الفناء والاضمحلال ونموه بشير التقدم والفلاح فاذا ضعف العلم عند امة ضعفت واضمحلت واذا قوي قويت واستعلت . ورب سائل يسأل ما يفيد العلم اذا كانت هذه حالتنا الداخلية

فالجواب ان العلم يعلم الرجل ان يزيل ما يراه مستقبحاً من عادات زوجته في بدء تسلطه عليها وان لم يكن ذلك دفعة واحدة فبالتدريج وبالاساليب اللطيفة لتكون على ما يحب . العلم يعلمه ان لا يفوه امامها بكلام لا يليق ان يلفظ امام امثالها . العلم يعلمه ان يرضع ابناءه وبناته حب بعضهم لبعض وان يغرس فيهم ضميراً حسناً . العلم يعلمه ان لا يحتقر قرينته على مشهد من اولاده حتى لا يقتدوا به في ذلك فتبطل سلطة المرأة ولا يكون لها نفوذ على ابنائها فتفسد التربية والتربية لا صحة لها الا اذا انشأتها المرأة في الصغر . العلم يعلمه ان يرأف بوالديه ليبر به ابناؤه في شيخوخته . العلم يعلمه ان يوفق بين الحماة والكنة وان يزجر من يرى فيها ميلاً للوشاية بالاخرى لتكونا محبتين لا عدوتين . العلم يعلمه ان لا ذنب للبيلى اذا وضعت طفلة ولا فضل

لوردة اذا ولدت طفلا ولا موجب لتكريم هذه واذلال تلك ولا ذنب للاولى او فضل للثانية

لله درك ايها الغربي لقد اتخذت لك العلوم والمعارف انصاراً فعلمت ان منزلة المرأة ارفع مما وضعها لها الشرقي فمهدت لها سبل العلم ووطدت لها طرقه وعلمتها ما يلزم ان تتعلمه واجلستها على الكرسي الذي وهبته لها الطبيعة وعلمتها الوظيفة التي لا تليق الا لها فنهضت بك الى ارفع قمم النجاح والفلاح ورفعت ابناءك الى اوج الحضارة والعمران فاصبحت تسر بمولودك مهما كان جنسه

قم ايها الشرقي من وهدة الخمول والكسل واقصد العلم فليست طرقه ببعيدة على القاصد وانظر الى اصلاح احوالك وابدأ بتعليم المرأة لان بتعليمها تخفيف الاثقال عنك وبذلك نجاحك ونجاح ابناءك وسهل لها وسائل العلم واسباب المعارف واقتد في ذلك بالغربي الذي كان يقتدي بك في جلى الامور وارفع عنها نير العبودية والاسترقاق وعاملها معاملة الشريك المنصف ولا تدع رفقك بها في الامور التي لا تنطبق على حسن السلوك يتدرج الى حد الانقياد الاعمى واعط الاوقات والظروف ما يوافقها وهذّب ابناءك بالعلم والادب وكن حكماً عدلاً فيما ولاك الخالق من السيطرة على عائلتك لئلا تخلع عنها ثوب طاعتك وتتدرج الى ما لا يرضي الخالق ولا يرضيك .

والتفت الى بناتك على الاخص وعلمهن العلوم والمعارف ما استطعت لانهن مرشدات العقل ومدبراته وهنّ رافعات منار الامم الحية بما يغرسنه في ابنائهن بالصغر من العلوم التي اكتسبنها . وهاك طرفا من الحقوق والواجبات العائلية نخذه لك دستوراً وضف اليه ما تكتسبه من التجارب بعد ان تختبر منفعته

« حقوق الرجل على المرأة والعائلة » واعلم ان لك حقوقا لا يجب ان تغفل عنها لئلا تهمل ولا يكون لك سيطرة على عائلتك . وحقوقك عليها ان تستشيرك في جميع امورها وان تطيعك في الابتعاد عن معاشرة من لا تليق معاشرته من الجنسين وان تصغي الى اوامرك التي تكون مصروفة لخيرك وخيرها وان تبعدها عن الاسراف والعادات المستقبحة التي لا تتمكن هي من معرفتها كما تعرفها انت وان تفضل خيرك على خير غيرك وان لا يكون لها سر تسره عنك وان لا تتدرج في رفع التكلف بينكما الى احتقارك وامتهانك وان لا تهملك في الامور التي تطلبها منها وان كان بينكما مزاح فلا يكون على مشهد من الغير وان تحترم اهلك وتكرمهم

« حقوق المرأة والعائلة على الرجل » اما حقوقها عليك فهي ان تعاملها باللطف والحسنى لا معاملة العبودية والاسترقاق وان لا تخفي عليها اسرارك واعمالك وافراحك واحزانك لتشاركك في جميع ذلك وان لا تفضل نفسك عليها في المأكل والمشرب وان تظهر لها حبك وحنوك وان تدرأ عنها طوارق الحدثان وان تدرسها ما تجهله من الواجبات في المعيشة والسلوك بين الناس وان تحترمها امام الغير ليحترمها غيرك وان لا تدفعها الى ما لا يسر بسوء تصرفك وان تفيها حقها من المساواة كما تفيك حقك منها وان تلزم كلا من افرادها ان يحترم حق الآخر ويجري واجباته نحوه وان ترضعهم حب بعضهم لبعض ليتعاونوا ويتعاضدوا وان لا تفضل احدهم على الآخر وعلم ابناءك احترام والدتهم وكن لهم مثالاً في ذلك

« حقوق الوالد على الولد » ولك حقوق على ابنائك وبناتك لا يجوز سكوتك عنها لان ذلك يكون ضرراً عليهم وهي ان يحترموك ويوقروك

ويطيعوك ويكرموك ويعينوك ويبروك وكذلك لاهم حق عليهم ولكما التسلط على جميع اعمالهم واحوالهم وتصرفاتهم واشغالهم وكل ما يتعلق بهم الى ان يصيروا غير قاصرين في تدبير انفسهم

« حقوق الولد على الوالد »

ولابنائك وبناتك عليك حقوق لا يجب ان تنساها منها ان تعولهم في صغرهم وتدفع الضرر عنهم وتعلمهم ما ينفعهم في كبرهم من العلوم والمعارف والصنائع وتتوجع لاوجاعهم وتحنو اليهم حين احزانهم وتقاسمهم ارزاقك واموالك وان لا تحبط مساعيهم واعمالهم بدون تبصر وامعان في خيرها وشرها ولا تعاملهم معاملة العبيد والخدم ولا تستعمل القساوة والضرب والسباب لان ذلك يدفعهم الى كرهك والتملص من سيطرتك او يحط هممهم فيصبحون كالبهائم لا يؤثر بهم شيء وعلم ابناءك حسن السلوك قبل كل الامور لان عليه مدار المعيشه وحسن المستقبل و حسن السلوك ليس من وسيلة مدرسية لتعلمه الا التفاتك اليه ومساعدة قرينتك

« حقوق البنين والبنات على امهاتهم »

كما ان للوالدة حقوقا على اولادها كذلك لابنائها وبناتها حقوق عليها فيطلب من المرأة ان تعلم بنيها وبناتها وهم اطفال النشاط والهمة والغيرة وحب الفضيلة وان لا تقص عليهم القصص الخرافية التي لا يقبلها العقل السليم او الحكايات المخيفة ويجب عليها ان تستبدلها بما يكون منه غرس روح الفضيلة والادب والرغبة في العلوم وطلب المعالي وتعلم بناتها فروضهن وواجباتهن نحو ازواجهن وعائلاتهم وتبعدهن عن الكسل وتفرض عليهن ان ينظرن الى جميع الحاجيات البيتية وان ترضهن حب النشاط والتدبير المنزلي والاقتصاد البيتي والتدريب على الاعمال البيتية

بفروعها والاشمئزاز من مشاركة الخدم في الاشغال اذا كانت غنية لانه ربما قلب لهن الدهر ظهر المجن فانقلبن فقيرات فماذا يكون حالهن اذا كن لا يحسن عملاً من الاعمال ومن يخدمهن اذ ذاك ؟ ولتجتهد لتعلم ابنتها الاشغال اليدوية الصناعية وان كانت في غنى عنها وان تجعلها اهلاً لان تكون ربة بيت تحسن تربية ابنائها وتكون مدربة على الاذعان للحقوق والترفع عن الدنايا والفخفخة التي لا طائل تحتها وخصوصاً الاستسلام للازياء الكثيرة التي لا يسع المقام وصفها والتي منها ما يحط من الادب والشرف . وعليها تعليم ابنائها احترام والدهم وطاعته وحبه ولا تجعل ان يصل حبها لابنها ان ترى جميع ما يفعله حسناً ويكون سبباً في اخفاء ما يأتيه من الذنوب عن والده فربما كان حنانها الزائد سبباً لضرره وضررها . ومطلوب منها ان لا تسامح من كان من ابنائها قليل الاحترام لزائريها وضيوفها فان ذلك يجعلها ويجعله ممقوتين عندهم وان لم يظهروا ذلك واذا طلب الولد شيئاً وكان ذلك بالصياح وبكاء واجابت امه طلبه فذلك يعلمه ان لا يطلب شيئاً الا بالبكاء والعويل ويجر شراسة الاخلاق وقلة الاحترام فالاولى بها ان تمنع عنه ما لا يطلبه بلطف ورقة

« حقوق الحماة على الكنة وبالعكس »

ان الحماة اولعت بالكنة واولعت كنتها بالظنة

وللحماة حقوق على كنتها وكذلك للكنة حقوق على حماتها . اما حقوق الحماة فاهمها الوقار والاحترام والاكرام وعلى الكنة ان لا تحتقر آراءها وعاداتها وان كانت تلك العادات مما يجب ان تحتقر بل يجب الاقلاع عنها بلطف وذكاء وعلى الكنة ان لا تظن ان عاداتها وعادات اهلها هي المستحسنة وتستقبح ما سواها فربما كانت عادات اهلها المستقبحة فعليها ان تتمسك بالاحسن وعلى

الحياة ان تظهر لكنتها الحب الصافي ولا تشدد النكير عليها في بدء اقترانها لئلا يكون الفوز لها ولتتوجع لتوجعها ولتحزن لحزنها وتكون لها اماً شفيقة لتزيل ما يكون متسلطاً عليها من الظنون والاوهام وبذلك تكتسب قلبها وتمتلك حبها

هذا ما جادت به القريحة الخاملة وهو قليل من كثير فاستمسك به ايها الشرقي واعط كل ذي حق حقه لتملك ازمة النجاح

والامل من حضرات الكتاب الافاضل ان يوافونا بما تجود به قرائحهم الوقادة لان هذا المجال فسيح ويستحق الخوض به وبذلك يكمل النفع . ونسأله ان يصلح احوالنا انه كان سميعاً مجيباً

الغرور

نظم فليكس افندي فارس

بين الجبال الشم والصخور حين هجوم الوقت بالديجور
حين جنوح الكوكب المنير كأنه يسرع بالمسير
قف واعتبر بالدهر ذي الغرور

انظر الى النور يولي مدبراً وقاتم الظل يعود القهقرى
قد كحل الافق بنور احمرا كفادة تبكي على الف سرى
فغطت الاحداق بالشعور

في ساعة الراحة من بعد الملل اذ رقد الافكار في حضن الوجل
في ذلك الحين ترى النفس الامل يفنى كما يمضي من المرء الاجل
فيلجأ العقل الى التفكير

كمثل ذاك الكوكب السطوع نجنح بعد السهد للهجوع
وخلفنا ظل الفنا السريع يبلل الاحداق بالدموع
ويستر الآمال بالمقدور

كذا حياة المرء في هذي الدنى ما عيشنا الا طريقاً للفنا .
يحملنا الوقت ببؤس وهنا لكنما الايام لا تبقي لنا
سوى خيال الحب والسرور

هيا بنا يا معشر الاصحاب ننظر بين المهد والتراب
ننظر في ماض بلا مآب نسبر غور المقبل المرتاب
فيكشف الستر عن المنظور

من في الورى ما استصحب الآمالا من منهم مع الهوى ما مالا
من لم يحب المجد والاعمالا فمن ترى قد بلغ الكمالا
من صاحب التاج الى الفقير

عد وافتكر في سالف الايام كعاقل في كاذب الاحلام
تلق الورى بالنقض والابرام كلاعب بالشك والاوهام
في موقف التفكير والتدبير

كم قد رجونا المجد في هذا البقا فلم يزدنا غير بؤس وشقا
قف ان انوار الرجا لن تشرقا الا لترمي من على الوهم ارتقى
من شاهق الافكار للمنظور